مصطلح الألوهية في القرآن الكريم وأثره على المستويين القيمي والعقائدي في المسيحية والإسلام مقاربة إشكالات ترجمة المصطلح القرآني

السيد هارتموت بوبزين

أستاذ العلوم الإسلامية – جامعة إرلانغن – ألمانيا

لقد نزل الوحي على النبي محمد باللغة العربية، وهذا ما نصّ عليه القرآن بوجه خاص مرّات متعدّدة، كما هو الحال في سورة يوسف، الآية 2 حيث يقول تعالى ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾[212] لقد كانت مفردة الله موجهةً إذن إلى المسلمين الأوائل الذين كانوا يضمُّون العربَ في جملتهم في صيغة لغوية كانت مألوفة لديهم في لغتهم العربية لغة «الأدب»، وهو الموضوع الذي كان بالضبط محور سورة فُصِّلت، حيث جاءَ في بداية الآية 44 : ﴿ ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصّلت آياته أأعجمي وعربي ﴾.

يتعلق الأمر هنا بكلّ تأكيد بالإشارة الضمنية إلى أن الوحي الربّاني الذي نزل على محمد وعلى أمته لم يكن مكتوبا بالعبرية ولا بالسريانية، أي في ذينك اللغتين اللتين كانتا تؤمنان إلى حدّ كبير بالإله الواحد على عهد النبي محمد، كانت العبرية لغة اليهود وكانت تستعملها كثير من القبائل العربية قبل الإسلام

(212) نجد شيئاً مماثلا في السور 13 : 37 ؛ 16 : 103 ؛ 20 : 113؛ 26 : 195؛ 39 : 28؛ 41 : 3؛ 42 :7؛ 43 :3؛ 46 :12.

وهي القبائل التي كانت مستقرة في نسبة كبيرة منها بيثرب ؛ كما كانت السريانية لغة المسيحيين الذين كانوا يعيشون على عهد محمد بالجزيرة العربية وكانوا يمارسون التبشير، وهو ما نجحوا فيه نسبيا بكلِّ تأكيد. إلى حدّ اليوم لا يزال الطابع العربي الذي اكتسبه القرآن يحظى بمكانة عالية، وهو ما كانت تؤكد عليه المستشرقة الألمانية 1923 - 2002 (Annemarie Schimmel) اللامعة آن ماري شيمل باستمرار عن حق.[213]

لا يستعمل المسلم غير اللغة العربية، واللغة العربية وحدها حينما يهمُّ إلى أداء الشعائر الدينية في أي مكان من العالم، مثل النطق بالشهادة أو الصلاة أو تلاوة الأدعية التي يردّدها الحاج أثناء أداء مناسك الحج، وبصرف النظر عن اللغة الأمّ التي ينطق بها المسلم ؛ ويشكل المسلمون غير العرب الغالبية العظمى من المسلمين، ناهيك عن أنَّ نسبة المسلمين الإندونيسيين تتجاوز مجموع ساكنة البلدان الناطقة بالعربية. كما أن السياق الديني يفرض تلاوة القرآن باللغة العربية فحسب، ويحظى فن التجويد الذي عرف تألقا كبيرا في تلاوة القرآن بمكانة عالية، كما تشهد على ذلك مباريات تجويد القرآن التي تنقل على الهواء خلال شهر رمضان بوجه خاص. تعقد مثل هذه المباريات كل سنة بدولة الإمارات العربية المتحدة بحضور إعلامي كبير وببث مباشر في القنوات التلفزيونية. لهذا الغرض يفد المتبارون المسلمون من كل حدب وصوب من أجل تلاوة ما تيسر من الذكر الحكيم باللغة العربية بطبيعة الحال، ولو أنها بقراءات مختلفة. وقد ظل الخلاف محتدما ردحا طويلا في مسألة جواز ترجمة الآيات القرآنية إلى لغة أخرى غير العربية ؛ وهي الترجمة التي تيسِّرُ للمسلمين غير العرب سُبلَ فهم مضمون الآيات. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار وجود ترجمات كثيرة بين السطور منذ مدّة طويلة، فهذا دليل على مدى وجود حاجة ماسة إلى هذه الترجمات، وهي حاجة كانت موجودة. وقد كان الرأي السائد يرى أنه يكفي أن « نفسر » الآيات القرآنية وأن « نشرحها » في خطب الجمعة التي تلقى على الدوام بلغة أهل البلد، دون أن نزيد على ذلك. وكان الخطباء يتجنبون قدر الإمكان الإشارة

(213) انظر على سبيل المثال : « العلامات الدالة على الله» العالم الديني في الإسلام، نشرة بيك، 2003، ص. 153.

إلى « الترجمة » و فعل الترجمة. ويدلّ تأسيس « مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف »[214] بالمدينة المنورة على حصول تحوُّل في النظر إلى الأمر. تتفرّغ هذه المؤسسة لمهمة طبع القرآن، كما يشير اسمها إلى ذلك، مع الإشارة إلى النشر بلغتين مختلفتين. فقد أصدرت هذه المؤسسة نشرةً مزدوجةً بالعربية والألمانية للقرآن سنة 2005، تحت عنوان «القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الألمانية». وكانت الترجمة من إعداد فرانك بوبنهايم ونديم إلياس، بعد مجهود استمر إحدى وعشرين سنة، كما أشارا إلى ذلك في المقدّمة.[215]

وغالباً ما كان المترجمان يحتفظان باسم الجلالة كما هو مرسوم بالعربية أثناء نقله إلى اللسان الألماني « Allah »، وهو الاسم الذي يرد في البسملة في بداية السُّور. اسمحوا لي أن أنتقي من هذه الترجمة الألمانية آيتين 61 و63 من سورة العنكبوت: الآية 61 ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ الآية 63 ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله﴾.

كذلك الأمر في نفس السورة ولكن في الآية 46 تمّ تعويض المفردة العربية بمفردة «الإله». أستشهد بالآية 43 ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾.[216]

أريد على سبيل المقارنة أن أقرأ عليكم ترجمة الآيات كما جاءت في الترجمة التي أعددتها [217] بتعاون مع زوجتي كاتارينا. كما سينتبه القارئ إلى ذلك، قمت على الدوام بنقل المفردة العربية «الله» إلى المفردة الألمانية « Gott » أو ترجمتها في بعض الأماكن إلى العبارة الألمانية « der eine Gott » «الإله

(214) مجمع الملك فهد لطبع المصحف الشريف. وقد كانت ترجمة لفظ «المجمّع» إلى مفردة 'Komplex' غير مناسبة، وكان من الأولى أن يُترجَم إلى لفظ « Institut »، أي «مؤسّسة».

(215) في المقدمة العربية ص. 4، وقد أشارت إلى سنة 1984 وهو تاريخ الشروع في الترجمة.

(216) نجد في التفسير أسفله عبارة «مسلمون».

(217) صدر بمدينة ميونيخ لدى الناشر بيك C. H. Beck، وقد صدرت الطبعة الثانية المنقحة سنة 2017 بنفس دار النّشر.

الواحد»، واستعملت العبارة الأخيرة قصد التأكيد بوضوح على الإله الواحد الأحد. ألفت انتباه القارئ إلى الآيات السابقة التي استشهدت بها من سورة العنكبوت 61 و63 و46 في الترجمة التي قمت بها، حيث لا أحافظ على الاسم العربي «الله» في الترجمة الألمانية، بل أستعمل مفردة «الإله» Gott :

29:61 "Fürwahr : Wenn Du sie fragst:/, Wer schuf die Himmel und die erde?/ Wer machte die Sonne dienstbar und den Mond?‘/So sagen sie:,Der eine Gott.» (allah)"….

29:63 "Fürwahr : Wenn Du sie fragst:/, Wer ließ herab vom Himmel Wasser fließen,/ dass er damit belebe die Erde nach ihrem tod?‘/ So sagen sie: ‚Der eine Gott.‘ (allah)"

وفي الأخير:

29 : 46 " Streitet mit den Buchbesizern nur auf schöne Art, doch mit denen von ihnen, die freveln./ Sprecht: Wir glauben an das, w as auf uns herabgesandt ward/ und was auf euch. Unser Gott (Ilahu-na) und euer Gott (Ilahu-kum) sind einer. Und ihm sind wir ergeben…"

لنعد من جديد إلى ترجمة بوبنهايم و إيلياس ؛ يسير أغلب مترجمي القرآن [218] على منوال هذين المترجمَيْن ؛ بمعنى أن هؤلاء لا يترجمون اسم الجلالة «الله» المكتوب بالعربية إلى اللفظ الألماني « Gott » إلا إذا ما اقترن بضمير أو دخل على صيغة تركيبية تفيد «لا أحد»، وما عدا هذه الحالات يتم الاحتفاظ بالمفردة « Allah » في الترجمة الألمانية.[219] ومع ذلك، يوجد مترجمون مسلمون قرّروا،

(218) على سبيل المثال، محمد بن أحمد بن رسول : حيث ظهرت ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الألمانية، في ترجمة مزدوجة اللغة في شهر مارس من سنة 1994.

(219) تجدر الإشارة كذلك إلى أنّ العمل يجري على هذا النحو في ترجمات القرآن التي أنجزها بعض المترجمين غير المسلمين، كما هو الشأن مع الترجمة التي أنجزها ماكس هينينغ(1927 –1861) Hennenig وصدرت في طبعتها الأولى سنة 1901 بدار النشر ريكلام، ونشرت من جديد سنة 1960 وأعادت آن ماري شيمل نشرها سنة 1991 في نشرة مزيدة ومنقحة، بعد أن أدخلت تعديلات طفيفة عليها. وكذلك أيضا الترجمة التي صدرت بدار النشر جولدمان Goldmann من إنجاز لودفيغ أولمان (1804 –1843) Ulrich Ullmann ليون باروخ على وجه الحقيقة والتي استندت في الأخير إلى عمل يرجع إلى سنة 1840 ويحمل عنوان : القرآن : مطابقة حرفيّة للأصل ومترجم ومزوَّدٌ بملاحظات هامشية، من إنجاز د. ل. أولمان، كريفيلد، جار النشر بمكتبة فونكه. وقد صدرت الطبعةُ الأصليّةُ في ستّة دفاتر، (كما هو مكتوب على الغلاف، وهي لم تكن إلا خمسة !) وقد طبع الدفتر الثاني والثالث في نفس المجلد.

على غرار ما فعلت، أن يستعملوا المفردة الألمانية « Gott » بدون استثناء. أضرب مثالا بمصطفى ماهر، وهو أستاذ الأدب الألماني الذي ولد سنة 1936 بالقاهرة. كان قد أنجز بتكليف من الأزهر ترجمة القرآن الكريم إلى الألمانية سنة 1999[220]. وكذلك فعل أحمد ميلاد كريمي الذي ولد سنة 1979 وينحدر من أفغانستان ويعمل الآن أستاذا للاهوت الإسلامي بجامعة مونستر الألمانية، حينما أنجز ترجمة للقرآن الكريم سنة 2009 إلى الألمانية ودأب على ترجمة المفردة الألمانية «الله» باللفظ الألماني « Gott ».[221]

اسمحوا لي أن أقول كلمة بخصوص الخلفية التاريخية. في سائر البلدان التي فتحها الإسلام، تمكّن « أهل الكتاب » منذ البداية – بصرف النظر عن بعض الاستثناءات – من الاستمرَار في ممارسة شعائر دياناتهم. « في البداية لم تقترن عبارة أهل الكتاب إلا باليهود والنصارى»، ثمّ أطلقت لاحقاً على أتباع زراديشت والهندوس وجماعات صغيرة من أتباع التوحيد مثل الصائبة المندائيين Mandäer. عندما تبنّى اليهود والنصارى اللغة العربيّة، وهم الذين كانوا يعيشون في البلدان الواقعة تحت حكم الإسلام – في البداية أو لاحقاً – فإن ذلك كان أمراً يحمل أكثر من دلالة. لم تعد لغاتهم الأصلية، مثل القبطية أو السريانية، لغات حيّة مستعملةً، ولم تعد تستعمل إلا في العبادات. كما أنهم ترجموا كتبهم المقدّسة إلى اللغة العربية، بل واستثمروا اللغة العربية للتعبير عن ثقافتهم الدينية الزاخرة. وهذا بطبيعة الحال ما حذا بهم إلى ترجمة المفردة « Gott » إلى المفردة العربية «الله»، وقد كان اسم الجلالة هذا ولا يزال الاسم الوحيد المتوفر باللغة العربية. كان واضحاً في الفضاء الثقافي اللغوي العربي أنّ ما يسمّيه القرآن بلفظ الله لا يمكنه أن يكون كائنا آخر غير الكائن الذي يمجده اليهود والنصارى!

(220) المنتخب في تفسير القرآن الكريم باللغتين العربية والألمانية 1420 هـ / 1999 م.

(221) القرآن: ترجمة جديدة وكاملة، من إنجاز أحمد ميلاد كريمي، مع تقديم ونشرة بيرنهارد أوده – Bernhard Uhde فرايبورغ وبازل وفيينا، دار النشر هيردر 2009، Herder.

ما هو الواقع اليوم في الفضاء الثقافي واللغوي الألماني اليوم، أي في البلدان الناطقة بالألمانية في ألمانيا والنمسا وجزء من سويسرا ؟ وبأي معنى يحظى السؤال هل نترجم « الله » العربية إلى « Allah » أو إلى « Gott » بأهمية خاصّةٍ ؟

هذا ما أريد توضيحه فيما يلي : عندما يسمع الناس الذين ولدوا بألمانيا وترعرعوا فيها ولا يملكون إلا معرفة باهتة بالإسلام مفردةَ «الله» أو يقرئونها، فإنَّ الانطباع الأولي الذي ينشأ في ذهنهم هو الشعور « بالغربة »[222]. ويكفي لنا أن نستعمل مفردة « Allah » في اللغة الألمانية، أي أن نستعمل «مفردةً أجنبيّةً»، حتّى يتولد لدينا الانطباع بأنَّ الأمر يتعلق بإله خاصّ بالمسلمين يدعى «الله»، أي يتعلق بإله يظلُّ «حكراً» على المسلمين فقط، دون أن تصبه صلة بالإله المسيحي ولا بالإله اليهودي. في إطار سلسلة اللقاءات المتعدّدة التي كنت أنظمها خارج الجامعة تحت عنوان « يقرأ النصارى من داخل القرآن »، كنت أقرأ الإصحاح الأول من العهد القديم (1. الكتاب الأول، موسى، الإصحاح الأول)، وكنت أقرأه في البداية باللغة الألمانيّة : «في البدء خلق الله السماء والأرض».

« Am Anfang schuf Gott Himmel und Erde »

وكنت أقرأه بعد ذلك باللغة العبريّة :

« be-reshit baraelohim et ha- shamaim wa at ha-aretz »

بالحروف العبرية

كان ذهول المشاركين عظيما للغاية حينما سمعوا في الترجمة العربية للإصحاح : « Am Anfang schuf Gott Himmel und Erde » لفظة «الله»

«في البدء خلق الله السماء والأرض».

ذلك أن مفردة « الله» ظلت تقال في اللغة الألمانية بوجه خاصٍّ على المجال التداولي الإسلامي. وقد كنت قد بيّنت بوضوح أنه من غير المناسب على وجه

(222) وينضمُّ إلى هؤلاء قسم من المسلمين الذي ولدوا وترعرعوا بألمانيا.

الحقيقة أن نتحدث في اللغة الألمانية عن «الله»، ولاسيما وأنّ القرآن في سورة العنكبوت، الآية 46 يؤكد بوضوح ﴿ إلهنا وإلهكم واحد ﴾.

خاتمة

يجب علينا أن نترجم المفردة العربية « الله » إلى المفردة الألمانية « Gott »، بما أنَّ استعمال «الله» يخلق أفقاً مختلفاً لا حاجة إليه، بمعنى أنه يخلق حاجزاً سيكولوجيّاً يضع عقبات كأداءَ أمام الحوار بين المسلمين وغير المسلمين، لاسيما ونحن نتوجّه إلى الأطفال واليافعين، نصرف الذهن عن انتمائهم الديني. يسمحُ مثل توضيح المفاهيم الذي قمت به بالتعامل على نحو مسالم ووقورٍ مع من يختلف عنا في الديانة أو المعتقد. من هذه الزاوية، لا يزال الطَّريقُ طويلاً، لأنَّ الكتبَ المدرسيّةَ الألمانيّةَ لا تزال مع الأسف حافلة بلفظ الجلالة كما هو في أصله العربي «الله» كلما تعلّقَ الأمرُ بالحديث عن الإسلام.

ترجمه عن الألمانية : عزالعرب لحكيم بناني